

إلى الأستاذ نبيل النجار الحامي

حول مقال إلغاء الدين الرسمي

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

ليس في استطاعة أمة من الأمم أن تعيش في حاضرها منعزلة عن ماضيها . وليس في طبيعة الإنسانية أن تحيا دولة دون أن تتصل بنورها « وإلا فقد لأبناء هذه الدولة أن يظلوا بعيدين عن ركب الحياة » متخلفين عن فافلة الإنسانية

والأمم الناهضة هي التي يستطيع أبنائها أن يتأثروا بالاتجاهات الحديثة التي يمر بها العالم دون أن ينسوا ماضيهم « ويتجاوبوا مع التيارات الجديدة دون أن يسيروا على منهاج مبتكر منقول يخالف تراثهم الروحي والاجتماعي »

ولقد أخذت التيارات الغربية تغزو ميادين الحياة في الشرق ، ولهذا لزمنا أن نصمد لها . . ونقيد منها بمقدار محدود . . حتى لا تتغير معالم الحياة في بلادنا . . ولا يجرفنا التيار إلى سبيل لا نعرف نهايته

ففي الغرب نرى تحاملا متصلا في النفوس ضد الدين الإسلامي وعلة هذا التحامل جهل القوم بتعاليم دين لا يعتقدونه . . فليس غريبا إذن أن ينكروا على الدين كثيرا من حقائقه الثابتة ، ويحاولوا أن يشوهوا الكثير من مبادئه وأهدافه

ولكن الغرب حقا أن يردد بعض المسلمين ما يقوله الغربيون ، عن جهل ونصب ، دون أن ينظروا إلى هذه الآراء نظرة فاحصة مدققة ، وقبل أن يزونا الأمور بميزان دقيق ، فيه شيء من الحكمة والعدل . . فبالأسس القريب : كتب الأستاذ محمد عبد الله عنان مقالا بمجلة الثقافة طالب فيه بتجحية الدين عن الحكم والحياة . . وقال إن مصر إذا كانت دولة إسلامية فليس معنى هذا أنها دولة دينية

وقد رد عليه الزميل الفاضل « محمد رجب البيومي » ردا كافيا لم يستطيع معه الأستاذ عنان أن يعقب عليه بشيء

واليوم قرأت مقالا جريئا . . تنادى فيه كاتبه إلى حد أن طالب بإلغاء الإسلام كدين رسمي للدولة ، وقد جاء في هذا المقال المنشور بمجريدة الشباب الصادرة بتاريخ ٢٧ / ٨ / ١٩٥٢ ما يلي : « إن مصر هي الدولة الوحيدة فيها نعلم التي لها دين . . فالمفروض أن الدين لله يمتنقه الأفراد . . والمفروض أن الدولة تجمع عديدا من الأفراد ذوي العديد من الأديان . . فتخصيص دين واحد ، وربط الدولة به هو الأمر المجيب . . والواقع أن أسطورة الدين الرسمي للدولة هي بقية من عهود الطغمان والإقطاع . وهو فوق هذا سبة في جبين مصر . . فقد اندثر هذا النص من كل دول العالم إثر الثورة الفرنسية ، لأنه نص نخجل ومعيب ، ولن نتوقع لمصر ارتقاء مادام باقيا ذلك النص بما يستتبعه من تهريج واضطهاد ، ومن تفتيت لوحدة الأمة ، فيجب فوراً على العهد الجديد الجري أن يلغيه بحجرة قلم ، فإن التخلص من سوات الماضي لا يحتاج إلى ذرة من التأني والتفكير »

وإن التأمل في هذا القول ، يرى أنه ليس صادرا عن قلب يعمره الإيمان ، أو نفس تشع فيها أضواء الفضيلة ، وأنوار الهداية واليقين ، كما أنه من ناصية أخرى لا يقوم على أساس ولا يستند إلى دليل

يقول الأستاذ النجار :

« إن مصر هي الدولة الوحيدة التي لها دين ، والمفروض أن الدين لله » وليس الأمر كما يرى الأستاذ الفاضل ، فعظم البلاد الشرقية تنص دساتيرها على أن الإسلام دين الدولة الرسمي ، فإن كانت دول الغرب لا تأخذ بهذا النظام ولا تنص عليه ، فذلك لخلاف في جوهر الدين نفسه ، فقد تركت المسيحية « ما لقيصر لقيصر . . وما لله لله » وانصرفت إلى التهذيب الروحي ، والتطهر الوجداني ، بينما تركت للقوانين الوضعية تنظيم المجتمع وتسيير الحياة . .

نشأت المسيحية في مجتمع منظم متكامل تسود فيه قوانين الرومان التي تعتبر من أعظم القوانين التي ظهرت في العالم حتى عصرنا هذا ، فلم تكن هناك حاجة لأن تتجه إلى وضع أساس الحكم ، ونشيد بناء الدولة ، وإنما كان عليها أن تهذب البناء وتصلقه وتعمله دون أن تغيره . . أما الإسلام فقد نشأ في مجتمع غير متكامل ،

وكان هؤلاء الضحايا المصاييح التي تضيء البستان !
وأراد الإمبراطور دقلديانوس أن يؤلفه المسيحيون في مصر
فأبوا الإذعان لإرادته ، والخضوع لشيشته ، فتولاهم بالسجن
والإحراق ، وأمن في تمذيبهم والتنكيل بهم حتى سمي عصره
« بمصر الشهداء » وكذلك قام الإسلام ليحقق العدالة الاجتماعية
ويحارب طغيان القوى ، ويحد من سطوته وبطشه ، ويقضي على
زعة الجاهلية التي تعبد الظلم والتي وصفها الشاعر بقوله :

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
بقاة ظالمين وما ظلمنا ولكننا سنبدأ ظالمينا

قد يقول قائل : إن هذه الأديان قد استتلت في بعض عصور
التاريخ ، لتسخير الجماهير ، واستغلال أفراد الشعب ، ولكن
السبب في ذلك لا يقع على الدين ، وإنما على القائمين بأمر الدين
فلقد دعت الأديان إلى المحافظة على الكرامة الإنسانية ..
ودعت إلى مقاومة الظلم .. والوقوف في وجه المتدين ، ولو أدى
ذلك إلى الهجرة ، قال تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي
أنفسهم ، قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض ،
قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأنزلناهم
جهنم وساءت مصيرا .. »

ولقد تمادى الأستاذ بعد ذلك في تهجمه على الدين ، فتنسب
إليه التهريج والتأخر والاضطهاد ، والإسلام يرى من هذه
الصفات ، منزعه عن هذه العيوب ، فالإيمان بدين لا يستلزم التعصب
والاضطهاد إلا عند من صدت قلوبهم ، وأظلمت عقولهم ،
وأكلت الأحقاد صدورهم ، والإسلام .. كما ذكرت سابقا .. يدعو
إلى التسامح والمساواة .. وينهى عن التعصب والترتمت ...

وبعد : فإن الدين الذي نهض بالمجتمع العربي ، ونقله من
الضعف إلى القوة .. ومن الظلمات إلى النور .. لا يزال هو الدين
لم يتغير منه شيء .. وإنما تغير معتقوه ، والقائمون على أمره
ونصيحتي للأستاذ النجار .. ألا يتحدث في شؤون الدين ..

وهو على ما يبدو من كتابته .. جاهل بأبسط قواعد الدين ..
وعليه أن يتمق في فهم تعاليم الإسلام الخالدة ، ومبادئه الثابتة
السامية .. قبل أن يصدر عليه أحكاما خاطئة .. متافية لأبسط

عبر الباسط محمد صبح

قواعد العلم والنطق

صاعت فيه القيم الأخلاقية والروحية ، وتلاشت منه مبادئ
العدالة والحرية والمساواة ، فكان عليه أن ينظم المجتمع ، ويميد
بناء الدولة من جديد

قال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »
بهذا نرى أن الإسلام يخالف للمسيحية من ناحية الحكم ،
فإن كان للمسيحيين أن يمزوا الدين عن الحياة ، فليس لنا أن
نقدم في ذلك ، ونهمل كل تراثنا الروحي ، وجميع مقوماتنا
الفكرية والاجتماعية

يرى الأستاذ النجار بعد ذلك أن ربط الدولة بدين واحد أمر
عجيب لأن في الدولة عددا من الأفراد ذوي العديد من الديانات
وأحب أن أرد على الأستاذ في ذلك بأن الدولة وإن كان بها
العديد من الأفراد ، إلا أن الغالبية العظمى منهم يدينون بالإسلام ،
فإذا نص الدستور على أن الإسلام دين الدولة الرسمي ، فذلك يعتبر
تمشيا مع عقيدة الغالبية العظمى ، وهو في الوقت ذاته يمنع جميع
أفراد الحرية الشخصية وحرية العقيدة ، ولا يجبر أحدا على أن
يتخلى عن دينه ، أو يترك عقيدته ..

وقد نزل القرآن الكريم داعيا للحب ، مبشرا بالتسامح ،
منفرا من إكراه الناس على اعتناق الإسلام بقوله تعالى « لا
إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » وليس لأحد من رجال
دينه على أحد سلطانا ، « لكم دينكم ولي دين »

يرى الأستاذ النجار بعد ذلك أن الدين أسطورة من عهود
الطغيان « والواقع التاريخي لجميع الأديان السماوية يناقض ذلك ،
فلقد قامت المسيحية — مثلا — لتقاوم طغيان الأباطرة الرومان ،
ولذلك لاقى دعايتها الكثير من ضروب القسوة والاضطهاد على
أيدي نيرون ، ودقلديانوس وتراجان وغيرهم

فقد أمر نيرون بإحراق روما ليستمتع بمرآها ، ولبثت النار
تضطرم في المدينة وتأتي على من فيها ستة أيام كاملة ، ثم أُلقيت بقية
إحراقها على طاق المسيحيين ، فأشعلت فيهم النيران بعد أن طليت
أجسامهم بالقطار ، وأقيمت حفلة ألعاب في بستان هذا الطاغية ،